جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد السابع والثمانون/ السنة الواحدة والخمسون
جمادى الأَوَّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأَوَّل ٢٠٢١/١٢/٢٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السابع والثمانون السنة: الواحدة والخمسون جمادى الأوَّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأوَّل ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأَنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أَحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينتز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أَحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتورة أَسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أَحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أَحمد محمود – مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعة:

مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
النحاة والقراءات القرآنية مواقف وحقائق محمد ذنون يونس فتحي	1-44
المحاكاة الصوتية في قراءة عاصم برواية حفص هاء الكناية أنموذجًا محمد إسماعيل المشهداني	45- 73
التعليل الصوتي لأحكام النون الساكنة والتنوين عند القراء العشرة فتحي طه أحمد وفيصل مرعي الطائي	74-100
الآخر/الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي أسماء طاهر ذنون العبادي و منتصر عبد القادر الغضنفري	101-134
أسلوبية التضاد الدلالي في أحاديث رياض الصالحين للنووي (ت 676هـ) هدى محمد محمود محمد و مازن موفق صديق الخيرو	135- 163
الأحاديث النبوية الشريفة المبدوءة بـ (ليس منّا ...). دراسة دلالية . فخري أحمد سليمان	164- 209
رمز المرأة "ليلى" في الشعر الصوفي عصمت حسين ميرزا	210-241
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
تطور العلوم الدينية وعلوم اللغة والنحو والأدب في المدن الأندلسية التي أسَّسها المسلمون في عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/755-1031م) أسامة سالم شيت حامد الزبيدي و فائزة حمزة عباس	242- 269
تطوّر صورة الآخر العثماني في كتابات المستشرقين والمؤرخين الأوربيين محمد علي محمد عفين	270- 314
نبذة عن حياة الملك المنصور الاجتماعية محمد عادل شيت و سلطان جبر سلطان	315- 332
مجد الدين ابن الأثير وعلاقتهُ بالسلطة الزنكيَّة ما بين (565- 589هـ/1169- 1193م) مناهل أُسامة الخيرو و شكيب راشد بشير	333- 367
الصلات التجارية بين الموانئ الهندية والصينية(132_656هـ/749_1258م) قاسم عمر علاوي اللهيبي و سفيان ياسين إبراهيم	368- 392
النشأة الاجتماعيَّة للدكتور محمد علي داهش محمود جاسم محمد و هشام سوادي هاشم	395- 412
إسهام المرأة الاقتصادي في العصر العباسي (132-656هـ/ 749-1258م) من خلال كتب البلدانيات أحمد ميسر محمود	413- 434
السفارة في الإسلام العصر العباسي بتول عباس فاضل	435- 455
بحوث علم الاجتماع	
النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة واجتماعية المعرفة العلمية شفيق ابراهيم صالح الجبوري	456- 488
الكلفة الاقتصادية والاجتماعية للمواد الغذائية المستوردة في العراق دراسة ميدانية على أطفال مدينة الموصل فائز محمد داؤد و فراس عباس فاضل البياتي	489- 513
الإدمان على المخدّرات دراسة تحليليَّة في أسباب وأنواع المخدّرات والنتائج وسبل المعالجة محمد عبد المنعم الزبيدي	514- 552
بحوث المعلومات والمكتبات	

تكنولوجيا المعلومات واستخدامها من العاملين في المكتبات : مكتبات جامعة الموصل أنموذجًا مهدي صالح أحمد و عمار عبد اللطيف زين العابدين	553- 594
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
بناء اختبار لقياس القدرات التقويمية لدى طلبة المرحلة الثانوية ميساء محمد قاسم وندى فتاح زيدان	595- 661

CC BY

النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة واجتماعية المعرفة العلمية

شفيق ابراهيم صالح الجبوري*

تأريخ التقديم: 2019/5/20 تأريخ القبول: 2019/6/19

المستخلص:

يمكن القول إنَّ علم الاجتماع مرَّ بمراحل علمية تحمل في طياتها الجانب الاجتماعي فقد كان على سبيل المثال أيديولوجيا مع تفاقم الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والغربي, الى توجه توفيقي مع مطلع التقارب بينهما بداية السبعينات, وهذه الدلالات الاجتماعية خير ما يمثلها علم اجتماع المعرفة الذي حمل ميزة ثالثة تمثلت بوصفه منهج بحث.

و نجد دلالة هذا التصور لعلم الاجتماع قد تجلت في علم اجتماع المعرفة العلمية , فكان الاهتمام بالعلم من خلال الدعم المؤسساتي له على النحو الذي وضحه في بحثه بهذا الاتجاه روبرت ميرتن, وهو ما حاول البحث تناوله الى جانب دراسة تطبيقية عن المعرفة الاجتماعية العلمية لابن صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم.

وعند الوقوف على التراث المرتوني (روبرت مرتن) الذي انتهى إلى أنَّ التقدير المؤسساتي هو أحد عوامل التحفيز في الإبداع، نخلص الى نقطة فارقة في عملية الاندلسي، الذي حقق الانتصار الاجتماعي لعلمهِ دون الانتظام المؤسساتي حين حقق علمه قبولاً على المستوى الاجتماعي؛ إذ عمد أَهل الأَندلس الى المفاخرة بهِ، وهذه المفاخرة انما تعطينا صورة دقيقة عن مقدار التمثل الذي حققه (صاعد) بين ما قدمه من علم في سفره وبين واقع الاحتياج للمعرفة من قبل المجتمع الذي وضع سفره لهم كقارئين اولاً، ومتفاعلين على هذا الانتاج المعرفي ثانياً بما يتماشى وفكرة بيترم

* أُستاذ/قسم علم الاجتماع/كلية الآداب/جامعة الموصل.

سوردكن حول تماهي النسق الثقافي مع العلم بما يتضمن او ضمن اصطلاح اجتماعية العلم، إذ غدا العلم لغة المجتمع .

إنَّ هذا الجهد لابن صاعد الأندلسي أَهله؛ لأَنَّ يكون رائدا لعلم اجتماع المعرفة العلمية , وكان هذا مبتغى البحث فيما تضمنه من متغيرات.

الكلمات المفتاحية: معرفة، أفكار، منهج.

المقدمة:

إنَّ علم اجتماع المعرفة الذي اشتهر بأَنَّه تاريخ للأفكار, نال اهتمام علماء اجتماع العلم في العصر الحديث بدأ من توماس كون مرورا بروبرت مرتن, وقد حمل هذا العلم طابعا مزدوجا فهو يحمل في الوقت نفسه منهج بحث يعبر عن منهجيته من خلال نظريته، ولقد كانت هذه المسألة بالذات معضلة هذا العلم إذ تتشابك حدوده المنهجية مع مضامينه المعرفية مما جعل الدراسات في هذا العلم تحمل طابعًا تطبيقياً. وشاهدنا العلمي في هذا التصور الذي نتبناه ما ذهب اليه (بيتر بيرغر وتوماس لوكمان) في كتابهما (البنية الاجتماعية للواقع – دراسة في علم المعرفة)؛ إذ يقولان: ((نحن نعد علم اجتماع المعرفة جزاً من الحقل التجريبي لعلم الاجتماع. وبالطبع فان هدفنا هنا هدف نظري. ولكن تنظيرنا يحيل الى الحقل التجريبي في مشاكله الملموسة لا الى البحث الفلسفي عن اسس الحقل التجريبي)).

وتم بحث ذلك كله تحت مسمى النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة في مبحث أول, ضمن متغيري المجتمع المبحوث, والمعايير العلمية التي تتعلق بمنطق العلم الذي يتم اعتماده في التفسير, وانتهت مسيرة هذا العلم الى نواحي اكثر تجريدية فيما يسمى بفلسفة العلم بدأ (ببنية الثورات العلمية لتوماس س.كون), ثم توسعته على يد روبرت مرتن بالاتجاه الاجتماعي الذي انتهى بتفرعات عديدة , من بينها ما عرف بالبرنامج القوي مطلع السبعينات الذي كان لطرح بلور ركائزه الأهمية الكبيرة في التحول من الجانب المؤسسي للعلم الى الجانب المعرفي وهذه الركائز هي: السببية, الحيادية, التناظر, الانعكاسية , في مبحث ثاني عنوانه المعرفة الاجتماعية العلمية.

الا ان جذور هذا الاهتمام العلمي تجد صداها عند فلاسفة العرب وفي مقدمة هؤلاء ابن صاعد الأَندلسي الذي يعد كتابه (طبقات الأمم)، واحداً من الكتب التي تجمع بين مفهومي تاريخ الافكار وبين المعرفة العلمية، وفي هذا الكتاب يمكن ان نؤشر لجملة من المواضيع التي تجعله يحمل هاتين الميزتين، وطرائق منهجية في تناول المواضيع يجعله في صدارة الكتب العلمية , وعند الاطلاع على طبقات الامم نلمس فكرة الحياد في جهده المعرفي، فقد حاول ان يبرز تأثر الواقع الاجتماعي في تشكيل البنية المعرفية، من منطلق الحياد العلمي في تشخيصه لعقلية الصيني والهندي، التي لا تعرف لصاعد اي اتصال وتماس مباشر بها او تأثره بأي من مذاهبها، فوصف العلم الصيني بالعملي، والفكر الهندي مهتم بعلوم الحكمة ، فوافق في هذا التصنيف ما نادى به انصار البرنامج القومي بلور وكولنز من ان التعيين الاجتماعي للمعرفة يتم بمصطلحات الثقافة السائدة , وقد بحثنا ذلك في مبحث ثالث عنوانه علم اجتماع المعرفة العلمية عند ابن صاعد الاندلسي ضمن متغيرات : معايير التصنيف ودلائل العلم في كتاب طبقات الأمم , واجتماعية المعرفة العلمية عند ابن صاعد الأندلسي . وأخيرا ختم البحث بخاتمة وقائمة بالمصادر.

المبحث الأول : النظرية والمنهج في علم اجتماع المعرفة

يترتب على البحث في العلوم الصرفة كالرياضيات والفيزياء نتيجتين مرهونتين بنتائج البحث نفسه، فإذا كانت نتائجه سلبية يقول المجتمع عنه انه قد اجتهد فأخطأ، وإذا كانت نتائج البحث ايجابية يقول المجتمع عنه انه مبدع. أمَّا الكتابة في العلوم الاجتماعية فمرهونة بأيديولوجية المجتمع وثقافته العامة، فإن اكتفى الباحث بعرض الافكار التي تعالج مشاكل المجتمع وقضاياه بالموضوعية لعدم تبنيه أي من التفسيرات. وعلى العكس منه الباحث الذي يعالج قضاياه وظواهره وهي متباينة دون الاكتفاء بالعرض، إلى مرحلة التحليل، بما قد يعارض ايديولوجية الدولة فانه قد يوصف بالتحزب او بالموالاة للحكومة اذا عارض يوتيوبيا المعارضة وبالنتيجة موصوف بالتبعية مطلوب ربما في دمه زمن انهيار دولة وبناء اخرى جديدة.

ومن بين اقرب فروع علم الاجتماع الى الواقعية التي سعى إلى استجلاء صورتها الاجتماعية الحقيقية، هو علم اجتماع المعرفة الذي يمتاز منهجه عن بقية

مناهج العلوم بتداخل شخصية الباحث مع الفعل الاجتماعي ورغم امتيازه بطابع ابستمولوجي وفلسفي، الا ان المعرفة وهي موضوع بحثه تختلف عنها في الفلسفة[1].

لأن المعرفة فيه هي معرفة كل ما موجود في المجتمع من اشياء مادية ومعنوية لها صلة بالمجتمع او من انتاج المجتمع، معبراً عنها بطريقة نظرية من خلال النتاج الذهني أو بطريقة عملية من خلال السلوك الاجتماعي، فالبيئة عنده بيئة طبيعية غير مصطنعة يهيئها الباحث للتجربة[2].

وهذا يعين ان يكون علم اجتماع المعرفة تصور نظري، ومنهج بحث، يتمثلان في شخص الباحث، او المثقف؛ لأنَّه في النهاية هو الذي يمنطق ذلك التلاقح بين البعدين النظري والمنهجي كونه ينطلق في التحليل الاجتماعي من الصورة الكلية للمجتمع، ويتعامل مع العلاقات من داخل هذا المجتمع، وينظر الى الأمور بصورة مباشرة[3].

فهو علم نظري يعبر عن نظريته من خلال منهجيته البحثية، وهو في الوقت نفسه منهج بحث يعبر عن منهجيته من خلال نظريته، ولقد كانت هذه المسألة بالذات معضلة هذا العلم إذ تتشابك حدوده المنهجية مع مضامينه المعرفية مما جعل الدراسات في هذا العلم تحمل طابعًا تطبيقياً. وشاهدنا العلمي في هذا التصور الذي نتبناه ما ذهب اليه (بيتر بيرغر وتوماس لوكمان) في كتابهما (البنية الاجتماعية للواقع – دراسة في علم المعرفة) إذ يقولان ((نحن نعد علم اجتماع المعرفة جزاً من

---

(1) المعرفة في الفلسفة عقلية أو حسية أو تركيبية بين الاثنتين، تقوم على الاستقراء والاستنباط تعتمد التصور عند كانت والاعتقاد عند هيوم، والتي افضت عند الاخير إلى التجربة انظر عبد الرحمن بدوي، امانويل كانت، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1977، ص162-178. أنظر أيضاً: انصاف محمد، المعرفة والتجربة، دراسة في نظرية المعرفة عند ديفيد هيوم، وزارة الثقافة، (دمشق 2006)، ص333-405.

(2) رجاء محمود ابو علام، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط4، 2004، ص268.

(3)المصدر نفسه، ص267.

الحقل التجريبي لعلم الاجتماع. وبالطبع فان هدفنا هنا هدف نظري. ولكن تنظيرنا يحيل الى الحقل التجريبي في مشاكله الملموسة لا الى البحث الفلسفي عن اسس الحقل التجريبي. وان نعيد مهمة علم اجتماع المعرفة على المستوى التجريبي، أي بوصفه نظرية مكيفة او مهيئة للحقل التجريبي لعلم الاجتماع... واضافة الى ذلك فاننا خلاف لاستبعادنا للقضايا الابستمولوجية / المنهجية نسلم بأن هذا التركيز يخص علم اجتماع المعرفة))[1].فهو التلاقح ما بين التجريد والتجريب، وان لم يكن التجريب، قائما على الاحصاء بقدر ما هو استقصاء للواقع التجريبي برؤية معرفية قائمة على فهم المعنى السلوكي للواقع بحسب كونين موضوعي وذاتي حسب تصورهما، مستقى من واقع الحياة اليومية التي نظر لها (الفرد شوتز) فيقران بأنهما قد أخذا فكرتهما الاساسية للكتاب منه ((عن الطريقة التي يجب ان يعاد بها تعريف مهمة علم اجتماع المعرفة ... وفي مقدماته النقدية المتعلقة بتأسيس المعرفة في الحياة اليومية كما ندين كثيراً لعلمه في أماكن مهمة متنوعة من قضيتنا الرئيسة))[2]. ويفضي كل هذا الى تداخل بين التصور النظري لعلم اجتماع المعرفة وبين التصور المنهجي له، كونهما مادة وصورة حسب النص الفلسفي وفق طريق معرفية، يمكن ان تتقبل حقيقة ما تطرحه ضرورة المزج من لدن المجتمع بشكل عام أو يتقبل بعضها، والذي يتقبله جزء من المجتمع، يمكن أن يرفضه جزء آخر وهكذا سيكون الحكم على هذه الحقيقة قبول اجتماعي، يضاف إلى ذلك عنصرا الاندماج الواعي للباحث في مجتمع بحثه، وتحقيق الموضوعية العلمية، فالعمل الالي للباحث في الوصول الى المعرفة من خلال تطبيق خطوات البحث الجامدة، قد لا يحقق الموضوعية في دراسة الثقافة الاجتماعية، البؤبؤية(*) مفهوم التخصص والتطبيق

(1) بيتر بيرغر وتوماس لوكمان، البنية الاجتماعية للواقع –دراسة في علم اجتماع المعرفة، ترجمة: د.ابو بكر احمد باقادر، الاهلية للنشر والتوزيع،ط 2000،١، عمان – الاردن.

(2) بيتر بيرغر وتوماس لوكمان، البنية الاجتماعية للواقع، مصدر سابق، ص30.

(*) البؤبؤية: تعني النظرة الضيقة ومصدرها صغر حجم البؤبؤ.

العلمي لمفاهيم موضوع البحث، ((والتي يحملها المثقفون الكسحاء والرسل الى قلب المدينة))[1].

ان الامر يقتضي المزج بين الظاهر (الحدود المنهجية) والباطن (الباحث ووعيه وقدرته) على اظهار المعرفة الواقعية ليس في ما يجب ان يكون عليه المجتمع بل فيما هو كائن، فإذا كان هذا الكائن يتطلب حضوراً للوعي فلا شك ان الوعي هنا يمثل الحد المنهجي، حتى وان كان يخالف تصورات العلوم الكمية، فالأخيرة تتعامل مع المجتمع كدلالات او قوانين احصائية بعد ان افرغتها من المشاعر الانسانية، وما يدرس رقماً او نسبة منوية، علينا التفكير فيما جعله رقماً معنوياً(*) فالذي يركض لممارسة الرياضة نقول عنه (يهرول) او يسعى لتحقيق الصحة البدنية السليمة، والذي يركض هرباً من حيوان مفترس او مجرم، نقول عنه انه خائف، وشتان ما بين الركضتين من معنى في حدود ما علمتنا به التفاعلية الرمزية من هنا فان الدلالة الاحصائية قد لا تعبر عن الحقيقة، فإذا كانت نسبة انقطاع الاناث عن المدارس في المناطق التي سيطر عليها تنظيم الدولة (داعش) في مدينة الموصل مرتفعة عند مقارنتها بالاستمرار الدراسي للإناث في انكلترا، فهل يمكن ان نحلل كلا الرقمين بمفهوم الدلالة الاحصائية، ونقول ان المجتمع الموصلي لا يعير اهتماما لتعليم الاناث بينما المجتمع الانكليزي يعير الاهتمام... نعم ذلك ممكن جداً بالنسبة للباحث الكسيح بلغة ادغار موران الذي يجهل المعرفة الاجتماعية والوضع الاجتماعي لكلا

---

(1)ادغار موران، المنهج، ج٤، ترجمة د.جمال شحبد، المنظمة العربية للترجمة وتوزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت، ٢٠١٢)، ص ٨ .

(*) الرقم المعنوي هو الرقم الذي يحمل المعنى الاجتماعي المدرك من قبل الباحث والقارئ ويقدم التبرير له ضمن السياق الثقافي والاقتصادي وفي جملة الحقبة الحضارية – الآنية والماضية وحتى المستقبلية. مما يجعل تفسيره مقبول في الوسطين العلمي والاجتماعي دون التعامل معه كرقم احصائي بدلالة معنوية رياضية من خلال الربط بين متغيرين او ثلاث او حتى اربعة، دون النظر الى قائمة الارتباطات الاجتماعية وغير الاجتماعية وذات التأثير على الارتباط البارسوني ... ودون الادراك لأهمية هذه المتغيرات في الحكم الاجتماعي والأخذ بنظر الاعتبار تباين المجتمعات في فهمها وايلائها الاهمية لذلك.

المجتمعين، ولايجد الرقم امامه الا الارقام كمؤشرات احصائية، في حين ان الامر على خلاف ذلك، اذ لم يكن المجتمع الموصلي يومأ ممن اهمل التعليم بالنسبة للإناث، والقارئ لثقافة المدينة يدرك جيداً، مقدار ادراك الموصليين لأهمية التعليم، الا ان الخوف الاجتماعي لمكانة العوائل، كما الخوف الشخصي على البنات من الخروج في ظل مفاهيم التنظيم الاجتماعية هو الذي ادى الى تدني نسبة المتواصلات مع المدرسة دون النسبة الحقيقة.

ولذلك يشكل وعي الباحث وقدرته على الانتاج بلغة معرفية امرأ مهماً بالنسبة للبحث العلمي، والامل بلغة ادغار موران لا يتأت الا بواسطة تحويل ذاتي للباحث من التصور البؤبؤي الى التصور الانساني ليصبح (مفيداً له، وللقارئين يجد مكانه ليس فقط في مجال الأَفكار بل أيضًا في السياق الثقافي)[1]، وهذا لا يتم الا من خلال (وعي بالأزمة ووعي نقدي... ويقظة اشكالية تعيد النظر في المبادئ التنظيمية للمعرفة)[2]، مما يحقق الموضوعية القبول العلمي–الاجتماعي لنتائج بحث علم اجتماع المعرفة اذا تم تركيب قبول الاطراف جميعاً في بناء معرفي عند الأخذ بنظر الاعتبار بالخلفية الاجتماعية وطبيعة التفكير الاجتماعي للجماعات الداخلة ضمن عملية التفاعل الايجابي او السلبي وتظهر هنا مهمة علم اجتماع المعرفة في نظر دافيد بلور بربط مجمل البيئة الاجتماعية التي ظهر فيها الرأي بخلفيتها السببية، (اذ لكل معتقد سبب، حسب بلور) للتحقق من قبل الباحث في علم اجتماع المعرفة من صحتها في ضوء الاسباب التي ادت بالمجتمع الى الاعتقاد بها، وهذا يؤكد على اهمية دور الباحث في إبراز الحقيقة الواقعية من خلال ابراز اوجه التبرير الاجتماعي لها ضمن مسمى النسبية الادراكية، وبمايسمى بالنسبية الاجتماعية التي لا تستلزم مجرد الحيادية من قبل الباحث في علم اجتماع المعرفة حيال الخطأ والصواب والبحث عن نفس الدوافع

(1) انصاف محمد، المعرفة والتجربة، مصدر سابق، ص111.

(2) المصدر نفسه، ص108.

التي كانت وراء نشوء المعتقدات الخاطئة والصائبة بل يتعدى ذلك الى القضاء على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ[1] وفق معايير يلتمس تأثيرها في:

أ – المجتمع المبحوث.

ب – معايير علمية تتعلق بمنطق العلم الذي يعتمده التفسير.

أ – المجتمع المبحوث وحكم علم اجتماع المعرفة:

ان القبول الاجتماعي لحكم علم اجتماع المعرفة لأي من الأطراف ينطلق من مفهوم المجال اللغوي الذي يشكل فضاء لغوياً يسمح ويعطي تلك النتيجة مصداقية اجتماعية اذ لا يوجد ما يفندها احصائياً، فيصبح ان ذاك الواقع اللغوي بدلالاته مؤشراً على مصداقية الواقع الاجتماعي، إذ يتلاشى الفاصل بين المجتمع واللغة، خاصة وأنها منظومة (ناتجة عن تبلور اجتماعي)[2]. أمسى واقعاً وجودياً بمعانيه الانسانية والمادية، يعبر عن نفسه من خلال اللغة التي جعلت ((العالم يأخذ شكلاً موضوعياً فهي تحول اشلاء التجربة الى نظام متماسك وأنها لتحقق عبر تأسيس هذا النظام (اللغة)، عالماً بالمعنى المزدوج لفهمه وانتاجه... وبالمعنى الواسع كل الذين يستخدمون اللغة نفسها هم ذوات اخرى تقوم على صياغة الواقع))[3]، بما يوسع مفهوم الفضاء اللغوي ليشمل المنتج والناتج الاجتماعيان، ويمنحه المصداقية الاجتماعية التي تجعله مادة علم اجتماع المعرفة، فيصبح التبرير اللغوي تبرير اجتماعي يعبر عن واقع موضوعي هو المجتمع فيصبح حكمه اذ ذاك حكماً مقبولاً لأنه ينطلق من موضوعه وهو المجتمع، خاصة اذا اتفقنا مع بيتر بيرغر وتوماسلوكمان في تصورهما عن البنية الاجتماعية للواقع حين يجعلان المحادثة اللغوية هي اهم وسيلة لصيانة الواقع والتي تحافظ على بناء واقعه الذاتي وتعدل هو تعيده باستمرار... ولذا فانه من المهم التأكيد على ان اعظم جزء في صيانة الواقع

---

(1) روجر تريج، علم اجتماع المعرفة، مواقع فلاسفة العرب، شبكة الانترنت.

(2)جوليت غارمادي، اللسانية الاجتماعية، عربه د.خليل احمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1990، ص17.

(3) بيتر بيرغر وتوماس لوكمان، مصدر سابق، ص192.

في المحادثة انما هو ضمني وليس صريحاً، فمعظم المحادثة لا تعرف بكلمات طبيعة العالم وانما تتم في مقابل خلفية لعالم صامت مسلم به[1].

وضمن سياق القبول العلمي لهذا الرأي هو مقدار فائدة الباحثين في العلوم الاجتماعية ووفق معايير علمية تتعلق بمنطق العلم الذي يعتمده في التفسير.

اما ما تعلق منها بالمجتمع فانه تمثل بمقدار فائدة العلوم الاجتماعية من نتائج البحث اللغوي من عدة جوانب منها ان اللغة اهم مظاهر السلوك الاجتماعي، واوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد[2]، إذ يعكس من خلالها ما يحمله من فكر اجتماعي لحياته اليومية، مما يشكل مجالاً حيوياً لعلم اجتماع المعرفة فيما يستقيه من معرفة سوسيولوجية واقعية تعطي المصداقية العلمية في احكامه الاجتماعية.

ب – منطق العلم في التفسير:

يمكن القول ان علم اجتماع المعرفة ينطلق من فضاء علمي يتحدد بثلاث، هي ذاتها، التبريرات الاجتماعية والعلمية، لتحقيق القبول الاجتماعي والعلمي، للحقيقة الاجتماعية التي شخصها علم اجتماع المعرفة، وهذه الفضاءات هي:

1 – الفضاء الأخلاقي:

يتميز هذا الفضاء في شخص الباحث مع الصعيد النفسي ومن ثم الفكري فيظهر نزوعه الداخلي رؤأه المبطنة في تحليله الاجتماعي بصورة موضوعية إذ تتلاقح المعطيات النظرية بالتصورات الداخلية[3] لتنتج رأياً اجتماعياً يؤدِّي فيها المتغير النفسي دوراً في التحديد العلمي لعلم اجتماع لمعرفة، وقد ناقش هذه الجزئية الاستاذ علي الوردي في كتابه (خوارق اللاشعور) بطريقة معرفية وصف فيها التداخل ما بين نفسية الباحث والواقع الاجتماعي إذ يقول عن فرويد (انه تأثر بمحيطه الاجتماعي،

(1) المصدر نفسه، ص191.

(2) محمود فهمي، علم اللغة العربية، وطالة المطبوعات، الكويت، 1973، ص51.

(3) راجع بهذا الخصوص وجهة نظر محمد عابد الجابري التي نتفق معها حول الدوافع النفسية تحول ابن خلدون من عمله في مجال السياسة الى العمل في مجال العلم في كتابه العصبية والدولة، مشروع النشر المشترك بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، دار النشر المغربية دون تاريخ، ص90.

فقد كان في فيينا قبل الحرب العالمية الأولى، يوم كانت نساء الطبقة الارستقراطية هناك قد شبعن من ناحية الطعام، وجَعن من الناحية الجنسية حتى ابتلين جراء ذلك بمختلف الامراض النفسية، ولو ان فرويد عاش بين البدو مثلا لربما تصور اللاشعور مؤلفاً من حب القوة والشهرة وبعد الصيت بدلاً من الشهوة الجنسية)[1]، هنا تصبح المشاعر انسانية بما تضفيه الى المعلومات من حياة بواسطة اللاشعور، يضاف الى المعلومات النظرية المتوفرة للباحث، وهي تكتسب شكلها الضبطي من درجة انفعال الشخص لما هو مجبول عليه من فطرة، تفاعلاً مع الفعل الاجتماعي – المصدر الخارجي– بالنسبة للباحث، وهذا ما ذهب اليه (أدمونهوسرل) من تفسير يخص المشاعر لأنها عنده (ارتفاع بالعلوم الطبيعية الساذجة والعلوم التجريبية المتغيرة الى مستوى المعرفة الماهوية والعلوم الصورية لكي تتمتع باليقين والدقة وتتصف بالعموميات والثبات)[2] فالتمثل الوجداني هنا، احساس بالآخر ونقل لماهيته من دخيلته اللاشعورية الى واقعه الاجتماعي، وشاهدنا على هذا التمثل الوجداني العقلية البدائية التي اخرجها (ليفي برول) من دواخل البدائين في صورة القانون الاجتماعي الذي انتظمت فيه حياة الشعوب البدائية[3] وكذلك الحال بالنسبة للصور الاولية عند (دوركهايم)، وما جاءت تصوراتهما الاجتماعية التي خرجت في مؤلفات تعد اليوم من كلاسيكيات علم الاجتماع الا انعكاساً لمقدار استشرافهما واحساسهما لمشاعر ودواخل المجتمعات التي درسوها، رغم علمنا بأن مصدر معلوماتهما لم يكن متأتي من الواقع الاجتماعي الميداني وانما من المعلومات الاثنوغرافية عن المجتمعات التي درسوها.

2– الفضاء الاجتماعي:

(1) علي الوردي، خوارق اللاشعور، دار الحوراء للطباعة والنشر، (بغداد، 2004)، ص44.

(2) سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هسرل، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1991)، ص142.

(3) البدائية: تسمية شاعت عن الشعوب التي درسها الرحالة والمستكشفون واستخدمها الانثروبولوجيون في مطلع دراساتهم الاكاديمية.

وهي حسب تسمية جورفيتش (معرفة الحس السليم)[1]، تكمن في توليفة معرفة الآخر والنحن والمعرفة الادراكية للعالم الخارجي، وبعض المعارف التقنية الاكثر تداولاً ويسراً[2]، وبعبارة أدق المجتمع الذي يتشكل من الافراد والنظام الاجتماعي وما يمكن ان ينتج من معارف مصدرها التثاقف مع بقية المجتمعات (العالم الخارجي)، مما يشكل معلومات اجتماعية مصدرها تفاعل هذه المتغيرات مع بعضها، وصدور تلك المعلومات في شكل احكام اجتماعية وصفية او تقويمية اتفق عليها الجميع، كما انها في ذات الوقت تحكم الجميع ان لم يكن بمنطق القهر الاجتماعي فبمنطق القهر المعلوماتي المكون من قبل كل طرف تجاه الطرف الآخر وجل هذا الفضاء الاجتماعي – معرفة الحس السليم يستحضرها الباحث ذهنياً متى استدعى التحليل العلمي ذلك.

3-الفضاء الفلسفي:

ان الفلسفة فكر متغير ضمن الزمان الاجتماعي، فهي في تغير طالما ان المجتمع متغير، من هنا تفاوتت موضوعاتها واهتماماتها بتفاوت الاوضاع الاجتماعية للمجتمعات التي ظهرت فيها فلم تعد موضوعات النفس او الروح او الكون او الفساد او الطبيعة وهي مادة الفلسفة الافلاطونية او الارسطية هي ذاتها اليوم بل اصبحت موضوعاتها اليوم اكثر قربا من الانسان وقضاياه الاجتماعية.

لقد اعطى الفضاء الفلسفي لعلم اجتماع المعرفة طابعاً فلسفياً فأقربت صفة الفكر به،مما جعله يحمل صبغة مزدوجة تتمثل بالحقائق الاجتماعية التي يدرسها وباللغة الفلسفية التي يطرح بها تلك الحقائق. ذلك ان الفلسفة لم تكن مجرد فكر

---

(1)يقصد غورفيتش بمعرفة الحس السليم: المعرفة اليومية، الحكمة التي يتمتع بها بعض الناس في المجتمع وهي محور معارف سابقة وتقاليد اجتماعية اصبحت المقياس الذي يقودهم في الاختيار، ينظر: فردريك معتوق، تطور علم اجتماع المعرفة من خلال تسع مؤلفات، دار الطليعة، بيروت، ط1، ١٩٨٢، ص ١٧٨.

(2)يقوم علم اجتماع المعرفة عند جورفيتش على دراسة انواع المعرفة واشكالها وفقاً للتجليات الاجتماعية واشترط تحليلا للابنية الاجتماعية اولاً ثم لأبنيتها المعرفية ينظر: جورج جورفيتش، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ترجمة: خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨، ص ٢٨-53.

مثالي حسبما تصورها البعض، وانما هي شكل من اشكال الوعي الاجتماعي (تتغير وفقاً لتطور المجتمع وتقدم المعرفة، وتكون نتاجا لوظيفة ما، وفي الوقت نفسه احد اوجه تحولها وتطورها... فالفلسفة ليست مجرد تعبير بوعي عن الحقبة التاريخية، بل ايضا واحدة من القوى التي تسهم في تشكيلها وتبلورها)[1]، عبر مفهومي الزمان والمكان مجالا الحياة اليومية، وكل ذلك يسهم في خلق الوعي الاجتماعي للمتفاعلين ضمن مسرح الحياة اليومية بلا تكلف مصطنع، لأن الواقع أياً كان شكله ونوعه، عمل المجتمع على ترميزه لغوياً بمصطلحات اجتماعية تبرر الواقع واكتسبت مسحة فلسفية بما حملته من معاني اجتماعية لوقائع سلوكية ضمن الزمان والمكان الاجتماعيان ((فما يقدم لي على انه المكان والزمان في الحياة اليومية هو واقعية وعيي))[2] الذي اعيش من خلاله مع الآخر الذي يمتلك هو الاخر وعيه المميز له، وبالطبع مع تفاوت درجات ذلك الوعي بالنسبة للفاعل والمتفاعل معه، وهو في مجمله وعي ((بالمعارف الشائعة لأنه بالضبط يشير الى عالم يشترك فيه الكثيرون، فالعلم بالمعرفة الشائعة هو العلم الذي اشارك الاخرين فيه في روتين الحياة اليومية))[3]. ويترتب على ذلك، فهم فلسفي بالنسبة للمستوى الاكاديمي على صعيد تناول مفهوم الحياة اليومية، بما يؤصل لعلم الحياة اليومية، وواقع هذه الحياة الذي هو موضوع علم اجتماع المعرفة من منطلق موضوعه الرئيس القائم على دراسة التفاعل المتبادل بين الفكر والواقع، ((ولما كان دستور الواقع يشكل تقليدياً قضية محورية في الفلسفة فانه يترتب على هذا الفهم نتائج فلسفية معينة))[4].

ان الفضاء العلمي لعلم اجتماع المعرفة (الاخلاقي – الاجتماعي – الفلسفي) هو الذي جعل من نتائج البحث في العلوم الانسانية متغيرة، لأنها تتشكل بتشكل متغيرات الفضاء العلمي ولاشك ان أي من ثوابت الفضاء العلمي، غير ثابتة الا ضمن زمن

(1) انصاف محمد، المعرفة والتجربة، مصدر سابق، ص11.

(2) بيتر برغر وتوماس لوكمان، مصدر سابق، ص38.

(3) المصدر نفسه، ص40.

(4)بيتر برغر وتوماس لوكمان، مصدر سابق ، ص231.

معين، يداخلها التغير في زمن لاحق، مادته الاساسية الانسان وهذا بالفطرة مجبول على التغير ضمن واقع اجتماعي كان هو صانعه، كما كان في الوقت ذاته هو نتاج له ولذلك ذهب (بيتر برغر وتوماس لكمان) في كتابهما (التكوين الاجتماعي للواقع) الى ان علم اجتماع المعرفة (يدرس كيف تصبح الفكرة الذاتية (الفردية) معرفة اجتماعية، ثم واقعاً اجتماعياً)[1].

ان الفضاء العلمي في تغير مستمر مما جعل ثرائه المعرفي والعلمي غير تراكمي، معرفة كل مرحلة تمثل قطعاً معرفياً بلغة غاستونباشلار، مما يجعل الحكم الصادر ضمن الفضاء العلمي لحقبة ما غير صالح لذات المجتمع في حقبة لاحقة.

المبحث الثاني : المعرفة الاجتماعية العلمية

بقدر ما قدمه العلم من خدمة للمجتمعات على مر العصور نال الاهتمام والتقدير من قبل أناسٍ متخصصون أولوه البحث، ومن خلال تتبع مسيرتهِ العلمية نلحظ شيئين صبغا مسيرته لدى هؤلاء الباحثين... الشيء الأول ان الجهود خلال العصور السالفة كانت فردية، فيما يخص العمل الفكري، فتجد الواحد منهم يكتب ويصنف فتعلو مكانته، او تدنو بحسب متغيرات المجتمع بكل مفاصلها، وإذا كان هناك من انصار لهذا الفكر او ذاك، ففي الغالب هم فرادى في ذات الوقت يشايعون فكره. الشيء الثاني انتظام الجهود العلمية في اطار مؤسسي وتبلور مفهوم الجماعة العلمية حسب ما ذهب إلى ذلك روبرت مرتن في مؤلفه (البنية المعيارية للعلم) الصادر 1942، وهذا الانتظام المؤسسي هو تمثل اجتماعي للعلم، كما هو استيعاب العلم للمجتمع. بما هو ضامن لهذا التبادل، فالاعتراف الاجتماعي دوماً للجهود الفردية هو محفز للإبداع ضمن معادلة المصلحة التي يجنيها الفرد والمؤسسة. وإن كان هذا الرأي لم يكن الوحيد في الساحة العلمية، فقد كان هناك اتجاه فيغارد كروكن، الذي تزعم مفهوم الحياد العلمي وجوهر تصور هذا الاتجاه تجاهل الابعاد الاجتماعية المعرفية للعلم،

(1) عبدالوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة، عدد60-61، سنة 1988، ص330.

ويمكن وصفه مع العموم بأنهم اختزاليون للعلم بحدود العلم مسقطين من الاعتبار كل عامل له دور في العلم.

لقد كان من أثر الفكر المرتوني اتجاهات عديدة ويمكن اعتبار كتاب توماس س. كون[1*] (بنية الثورات العلمية) مطلعها، وقد اشار او شكك فيما حققته العلوم الطبيعية إذ يقول..((.. وقد جعلني كل من التاريخ والاطلاع اللذين حصلا لي أشك في مسالة أن المشتغلين في العلوم الطبيعية يملكون أجوبة اكثر تماسكاً أو اكثر ثباتاً لتلك المسائل من زملائهم في علم الاجتماع))[2]، ولاسيَّما أنَّ نتاج هذه العلوم انضوى تحت لواء المؤسسات او ما عرف بالجماعات العلمية[*]،التي راعت الاعتبار بين النوع والكم في الانتاج مقابل قدر من الحرية قد منح للباحثين في العلوم، ترتب مع ذلك اعتراف اجتماعي للإبداع الفردي، فكان هذا الأخير محفزاً للباحثين بتحقيق المزيد من العمل الابتكاري، وقد روعي في هذا الانتاج تأصيل للتفاعل الاجتماعي بين الباحثين من خلال الانتظام المؤسسي الذي تمثل بعملهم في المميزات العلمية بما عرف بـــ(البنية الاجتماعية) في مسيرة تطور المعرفة العلمية بما أشتهر بمدرسة باث بزعامة (كولنز) التي انتهت الى ان العلم نشاط اجتماعي ضمن سياق بحثها في فلسفة العلم بتفسير ميثودولوجي حول كيفية بناء العلم مادياً، عندما لاحظ باحثوها

(*) يمكن القول ان توماس كون يصنف نفسه ضمن الاتجاه الاول الذي ذكره روبرت مرتن حول أهمية المؤسسة العلمية في إنكاء العلم في تصديره للمؤلَفْ: (... اما المقتطفات الذاتية التي افتتحت بها هذا التصدير، فوظيفتها الإقرار بما أعرفه عن الدَيْن الرئيسي لأعمال الاختصاص وللمؤسسات من حيث إن كليهما ساعداني على اضفاء صورة مع فكري)، توماس كون، بنية الثورات العلمية، ت: د. حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص47.

(2) توماس س . كون، مصدر سابق، ص44.

(*) من باب الامانة العلمية ان نشير الى ان ما اشرنا اليه ضمن جانب اجتماعية المعرفة العلمية، قد استقينا ملامحه من كتاب –مدخل إلى علم اجتماع العلوم– لميشال دوبوا، ترجمة: د. سعود المولى، منشورات المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، نيسان 2008، ص23–110 (الفصل الاول).

عمل الباحثين في المختبرات العلمية ضمن سياق تساؤله، هل المعرفة العلمية سياقية بمعنى هل ان المعرفة العلمية تتبلور ضمن اطار منهجي ووفق منهجية بحثية مدروسة داعت في خطها العام ربط المعرفة العلمية بالبعد الاجتماعي، فلا علم دون مجتمع ينميه ويقوي قواعده في اطار مؤسسي حسب تصور هذه المدرسة، وبالاستناد الى ركنين اساسيين في تفسيراتها المعرفية، الركن الاول هو محاولتها تشخيص القواعد المضمرة للأَعمال العلمية التي يكون التعامل فيها بصورة الحس المشترك، الاتفاق والتسليم بمبادئ العمل والاحتكام اليها دون ان يتم صياغتها بشكل نهائي او معلن. والركن الثاني هو التناظر الذي هو الأَخذ بأَسباب واحدة لتفسير المعتقدات الخاطئة والصحيحة في ذات الوقت حتى انتهى الامر بهذه المدرسة إلى مبدأ المرونة التأويلية للنتائج التجريبية كمبدأ عام في علم اجتماع المعرفة.

ان مدرسة باشر التي كانت احدى افرازات التراث المرتوني، لم تكن وحدها في ساحة علم اجتماع المعرفة خلال عقد السبعينات فقد صاحبتها ما عرف بمدرسة ادنبرة (اسكتلندا) (بلور وبارنزوماكنزي وشابين) في مشروعها الشهير (البرنامج القوي)، الذي علم اجتماع المعرفة على انه يظهر طريقة عمل العلماء، دون ادخال عنصر الحكم فيها، فهو ان جاز القول عمل حول محتوى النظريات العلمية وفق رؤية تاريخية اجتماعية نظرت الى المعارف كمعتقدات اصطلاحية تبلور تشابه فكرة سوروكن حول تماهي النسق الثقافي مع العلم، واظهار الاحترام للتفسير السوسيولوجي لهذه المعتقدات التي تكسبها الاهتمام الثقافي – الاجتماعي كمصطلحات سببية لها دور الفاعل في بلورة المعتقدات العلمية.

وقد كان لطرح بلور ركائز البرنامج القوي الأهمية الكبيرة في التحول من الجانب المؤسسي للعلم الى الجانب المعرفي الذي اعطاه مرونة تأويلية مع التحليل الذي وسع من سلطة العلم الاجتماعي.. وهذه الركائز:

1. السببية
2. الحيادية
3. التناظر
4. الانعكاسية

1 – السببية: تتعلق السببية بشروط المعتقدات او مسارات تقدم المعرفة، وان كانت المعرفة في العلوم قد ارتكزت على السببية في بنائها العلمي فان معرفة شروط الانتاج الاجتماعي الذي هو انتاج ثقافي – معرفي، هو سببية معرفية ومثلما تنتج الاسباب (نتائج علوم) كذلك السببية الاجتماعية بتحديدها ظروف نتاج المعرفة تجعل المعرفة، علمية، ان السببية العلمية هي بحث في محتوى النظريات المعرفية التي تحاول ان تتبنى صيغاً اصطلاحية للمعتقدات، وتقدم تفسير سوسيولوجي لهذه المعتقدات في ضوء التفاعل بين شكل المعرفة وبين ظرف انتاجها، دون الحكم، لأَنَّ الحكم عند بلور هنا يعني مصادرة للعلمية التي تكتشف مفهوم السببية. وهذا المبدأ يقود بالنتيجة الى الركن الثاني من البرنامج القوي (الحيادية).

2 – الحيادية: مراقبة علمية للنتاج العلمي، ويقف الباحث في المعرفة العلمية، موقف المصُور للظواهر المعرفية من باب الايمان بقيمة النتاج الاجتماعي، ولذلك فمن اطار هذا المفهوم لا يجد بلور ((فارقاً مبدئياً بين السحر والعلم))[1] فكلاهما يشير الى الحقيقة كما هي ضمن موقعها في السحر ام في العلم، وكل منهما له فاعليته ضمن السياق الاجتماعي، كما لا تختلف بنيتهما البنائية من حيث المخطط النظري وحال كل منهما بالنسبة للآخر حال الرياضيات الحديثة التي لا يجدها بلور متفوقة على الرياضيات الاغريقية، (فكلتاهما تقودهما مسائل وتسعيان الى تحقيق أهداف ينبغي ان تفهم بالإِحالة الى السياق الاجتماعي الذي تظهر فيه))[2].

الثقافة السائدة، وهو (اي العلم) رغم كونه يعتمد مصطلحات علمية ومفردات ربما مختبرية، إلا انها تعود إلى اللغة الاجتماعية في تشكيل حقائقه، وقد حاول قبل ذلك روبرت ميرتن في دراساته عن اسبقية الاكتشافات العلمية –بحث في علم اجتماع المعرفة ان يؤكد على العلاقة بين العلم والبناء الاجتماعي، وأخرى جعلت من المعرفة الاجتماعية العلمية التي تحلل العلاقة بين العلم من جهة، وبين الفن والدين والبناء

(1) برير و ريمون بودون، المطول في علم الاجتماع، ج2، ترجمة: وجيه اسعد، وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007، ص268.

(2)المصدر نفسه، ص268.

الاجتماعي والاقتصادي من جهة أخرى وأثر العلم فيها، أحد قضايا الب حث العلمي الرئيسة[1]... وبناء على ذلك فان مشروع البرنامج القوي هو اظهار الرابط الوثيق بين العلم كمنتج معرفة علمي وبين البنية الاجتماعية.

ان البرنامج القوي ومشروع علم اجتماع المعرفة العلمية، جاء تكليل للبحوث الاجتماعية – التاريخية التي ميزت العلاقة بين العلوم الطبيعية وال علوم الثقافية، من خلال اعتماد آليتي التفسير محور العلوم الأولى، والفهم محور العلوم الثانية بفضل جهود دلثاي: فجاء ليوحد منطق البحث في اظهار نتاج العلوم الطبيعية ضمن الوجود الاجتماعي، وقد دعمت بحوث ما عرف بالبنائية الاجتماعية وهي من الاتجاهات التي حاولت ان تؤطر العلم بل وتجعله ضمن افرازات التفاعل الاجتماعي بين المادة العلمية وباحثيها والمجتمع، ببحثها كيفية بناء العلم مادياً، بإظهار الترابط بين العوامل المعرفية والاجتماعية والتقنية، وببلورة نظرية (باراديغيم) بين وعي العلماء وبين غيرهم من غير التخصص في دراساتهم لسلوك العلماء ضمن مختبرات علمية بحتة.

3 – التناظر: ما يعنيه بلور به وحدة التفسير بالنسبة للموضوع ذي الوجهين كالحقيقة او المعتقد كموضوع صحيح او خاطئ، فيتم وفق مفهوم التناظر التعامل مع اسباب التفسير الخاطئ بنفس الاسلوب الذي يتم التعامل فيه مع اسباب التفسير الصحيح، ان التناظر قضية منهجية وآلية عمل لا تأخذ في الاعتبار الموضوع الذي تدرسه فهو سبيل لتقديم اقرار اجتماعي بما هو قائم بوصفه أحد ادوات علم اجتماع المعرفة التي تقدم تفسير مقنن للتصور الاجتماعي.

4 – الانعكاسية: وتأتي الانعكاسية لتؤكد وحدة التصور عند بلور، تنطوي على فكرة اعتماد ذات انماط التفسير الاجتماعي على ذاتها، وتطبيق ذات المنهج المتبع في الدراسة على نفسه، بمعنى آخر ان الاحكام والتفاسير والمناهج التي يعتمدها

(1) عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دمشق، دار الفكر، 2007، ط1، ص300.

البرنامج القوي في دراساته الاجتماعية يعيد استخدامها في دراسة ذاته، وهذا يكشف عن مصداقية الاداة في البحث.

ان البرنامج القوي في دراسة الظواهر الاجتماعية بمنطق الابستمولوجيا، حاول ان يجعلها ضمن دائرة العلم، وفي هذا حاولوا ان يحيطوا ما ذهب اليه البعض[1] من تجاهل للأَبعاد الاجتماعية الخاصة بالعمل، فكان تصورهم اختزالي، أفرغ العلم بالأصل من دوره الايجابي في تنمية المجتمع، ولذلك فقد حاول انصار هذا البرنامج (باري بارنز، كولنز، وبلور) أن يبلوروا ما اسموه (بالمعرفة التأويلية للنتائج التجريبية، مبدأ عاماً في علم اجتماع المعرفة) من خلال التعيين الاجتماعي للعلم، الذي يتم تفسيره باصطلاحات .

المبحث الثالث : علم اجتماع المعرفة العلمية عند ابن صاعد الاندلسي

1) معايير التصنيف ودلائل العلم في كتاب طبقات الأمم

يعد كتاب طبقات الأمم واحداً من الكتب التي تجمع بين مفهومي تاريخ الافكار وبين المعرفة العلمية، وفي هذا الكتاب يمكن ان نؤشر لجملة من المواضيع التي تجعله يحمل هاتين الميزتين، وطرائق منهجية في تناول المواضيع يجعله في صدارة الكتب العلمية.

أ – منهجية كتاب طبقات الأمم المعرفية

يغلب على الكتاب اسلوب البحث المعرفي، فهو لا يعرض تاريخاً للعلم بعينه، كما انه لا يتناول بطريقة شاملة للعلوم تجعله مؤرخاً لها. يتضمن اسلوبه الربط ما بين متغير المناخ الذي كان الى حدٍ ما مقاساً للعلم فالمناطق الحارة والباردة تعمل عل ى جعل الشعوب بعيدة عن الحضارة وترسم اخلاقها برسوم الدناءة والقرب من الوحشية او البهيمية، بل انه ينفي تأثيره على تصنيفه الذي اقترحه هو ذاته، فهو في تمييزه بين الأمم جعل العلم مقياساً أوحد، حين قسم الأمم الى طبقتين: طبقة عنت بالعلم، لم تعتنِ بهِ[2]؛ لأَنَّه جعل ضمن الأُمم التي عنت بالعلوم أمه الهند التي جنبها الله حسب

(1) ميشال دوبوا، مصدر سابق، ص108.

(2) صاعد الاندلسي، مصدر سابق، ص16.

رأيه سوء اخلاق السودان ودناءة شيم هم وقد وصفهم بانهم اصل الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفاضلة[1]... وبين العرض المعرفي وهو يتناول بالعرض والتحليل علم كل أمة، رابطاً بين متغيرات التاريخ بالعلم فعلماء اليونان ابناء تليس وفيثاغورس هم تلاميذ للقمان الحكيم ولاتباع سليمان (ع) وفي تحليله لعدم اهتمام العرب بالعلوم لما كان لظروف الواقع الاجتماعي والبنى من تأثير في تغيير مسار الاهتمام لديهم الى الشعر وضروبه.

ب – التصنيف الاجتماعي للعلم في كتاب طبقات الأمم:

التصنيف الذي ميز بهِ صاعد الاندلسي تمثل بالاهتمام بالعلوم حسبما ورد في الباب الثاني بعنوان اختلاف الأمم وطبقاتها بالاشتغال (قال صاعد: ووجدنا هذه الأمم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتين: فطبقة عنيت بالعلم... وطبقة لم تعتن بالعلم عناية تستحق بها أسمه بعد من امثلته فلم ينقل عنها فائدة حكمة، ولا رويت بها نتيجة فكرة[2]، وهو تصنيف منهجي ربط به بين رقي العلم برقي المجتمع او بالعكس، وهو يحمل تصوراً منهجياً، لان المعرفة عنده ليس اي عمل او نشاط فالعلم هو غير العمل، فهذه الصين، رغم انه أثر بإتقانها ((الصنائع العملية، واحكام المهن التصويرية، فهم اصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة التنصب في تحسين الصنائع))[3] كما ان المعرفة التي تعكس نشاطاً عسكرياً هو خارج تصوره فهؤلاء الترك وقد أخرجهم كما امة الصين من الأمم التي تعني بالعلم قد برعوا في الحرب ((ومعالجة آلامها))[4] مما جعل هذه الطبقة من الأمم يسودها الجهل والعدوان والظلم[5].

(1) المصدر نفسه، ص21.

(2)المصدر نفسه ، ص16.

(3) المصدر نفسه، ص17

(4)صاعد الاندلسي، مصدر سابق ، ص17.

(5) المصدر نفسه، ص18.

وطبيعي ان اعمال واهتمام هذه الأمم لا شك تنطوي على وجه اجتماعي، يعكس عمليته، لا يعكس بحال جانباً للمعرفة وذلك لان المعرفة عنده هي ما كان اهتماماً في الحكمة، وابتعاداً في الفكر والسلوك من اي نشاط وجهه عنيف كأعمال الحرب.

ونجده (صامد) قد أخرج هاتين الأمم من خطرها بالمعرفة لعدم اهتمامها في (الحكمة، ولا راضوا انفسهم بتعلم الفلسفة)[1] نخلص من ذلك ان الأمم التي اهتمت بهذه العلوم الفلسفة والحكمة وما ينطوي تحت لوائها من علوم في الطب والفلك والهندسة والجغرافيا هي التي لها علوم.

ت – المصادر المعرفية في كتاب طبقات الأمم

ان المطلع على كتاب طبقات الأمم يلمس مصدرين لاستقاء معلوماته الاولى: هو الكتب التي استقى منها معلوماته وتجدها منتشرة في طول الكتاب وعرضه ومن هذه الكتب: كتب الخوارزمي[2]، عن علم الكسور ما خص تصوره عن علوم الهند، وكتاب الألوف عن علم الفلك عند الهند والفرس لأبي معشر جعفر بن عمر البلخي[3]، وكتاب التفسير لجاماستف الفارسي الذي يصفه بانه كتاب جليل ما يؤكد اطلاعه عليه[4]، عن علوم الفرس. وكتابا سرائر الحكمة والإكليل عن علم الكلدان لابي محمد الحسن بن أحمد يعقوب الهمذاني المعروف بابن ذي الدمينة[5] وكتاب المجسطي لبطليموس اليوناني[6] وكتب اسحاق بن حنين وابو نصر الفارابي[7] في التعريف بالفلسفة اليونانية التي ابدع في عرضها بالإيجاز بشكل يجعل القارئ يدرك ادراكاً تاماً بعلمهِ ومعرفته بالفلسفة، وكتب ابو محمد بن زكريا الرازي[8]، وكتاب الفهرس لابن

(1) المصدر نفسه، ص18.
(2)المصدر نفسه ، ص24.
(3) المصدر نفسه، ص25.
(4) المصدر نفسه، ص28.
(5) المصدر نفسه، ص28.
(6) المصدر نفسه، ص30.
(7) المصدر نفسه، ص44.
(8) المصدر نفسه، 46.

النديم[1]، ولابن قتيبة كتاب المعرف[2]، وسواها من الكتب التي تملك في كتاب الطبقات.

ومن جملة ما يعكسه ذلك أمران، امانته العلمية في ذكر مصدر معلوماته واطلاعه الواسع على مؤلفات اختلفت تصانيفها بين فلسفية وطبية وفلكية وادبية ودينية لعموم الأمم التي اعتقدها مهتمة بالعلم، ما أشارت اليه هذه المصادر ولم يطلع هو عليها.

اشار بصورة واضحة الى ذلك حين اشار الى اسم احد علماء الهند الذي ذكره البلخي واسمه كتكة الهندي، بالقول((ولم يبلغني تحديد عصره ولا شيء من أخباره))[3] وكأنه في ذلك يبرئ ذمته مما قيل عن هذا العالم بما يؤكد امانته العلمية التي اشرنا اليها.

المصدر الثاني لعلمه ومعلوماته هي كتب الأمم التي كتبها علماؤها، وفي حقيقة الامر ان صاعد عرض لكل أمة علمائها ومؤلفاتهم في الهند عرض لكتاب (السند هند) ومعناه (الدهر الداهر)، وكتاب ناخر وتفسيره (ثمار الحكمة) فيه أصول اللحون وجوامع تأليف النغم[4] وعرض لأمة الكلدان كتاب (اسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم) ومن علمائها (برحس)[5]. كما يعرض لكتبة أمة اليونان وعلمائها وفلاسفتها ومن امثلتها كتاب (فيدن) في النفس والسياسة المدنية وغيرها لافلاطون، وكذلك يعرفنا بكتب ارسطو النبات، الحيوان السياسة والكون والفساد وسواها[6] وكذلك الحال بالنسبة للعلم في مصر حين عرفنا بوقطوس الاسكندراني صاحب المقالات الاربع في طبيعة العدد وخواصه وبيون الاسكندراني كتاب الافلاك و داليس

(1) المصدر نفسه، ص51.
(2) المصدر نفسه، ص58.
(3)صاعد الاندلسي، مصدر سابق ، ص25.
(4) المصدر نفسه، ص23-24.
(5) المصدر نفسه، ص30.
(6) المصدر نفسه، ص31-42.

المعروف باليرندج الرومي صاحب كتاب المواليد[1].وحين يقدم على أمة العرب فانه يتحول الى بيلوغرافيا في عرض العلوم وعلمائها في المشرق العربي والاندلس ولا يفوته طبعاً ضمن هذا العرض البيبلوغرافي عرضه لعلم وعلماء أمة اسرائيل[2].

ث : اجتماعية المعرفة العلمية عند ابن صاعد الأندلسي:

العلم نتاج اجتماعي ذلك ما اكدته دراسات علم اجتماع المعرفة العلمية، وما بين مذهب بلور وبارنز بتأكيدهم على المرونة التأويلية للنماذج التجريبية كمبدأ عام في علم اجتماع المعرفة ومذهب البنائية الاجتماعية التي ركزت على اظهار علاقات التفاعل الاجتماعي بين العلماء داخل المختبرات وبين غير المختصين، ثم انتهائها واصحاب البرنامج النحوي ومن قبلهم مرتون الى صياغة نظرية لمفهوم الجماعات العلمية، وابراز علاقاتها بالمؤسسة.

وهنا نلمس تصورين او واقعين اجتماعيين الاول، نحن نسايره ونعتقده من ان المعرفة هي نتاج اجتماعي، والثاني ما انتهت اليه جهود العلماء المعرفيين الى تشخيص مسيرة العلم وانتهائها الى التبلور ضمن مفهوم الجماعات العلمية، التي هي أحد افرازات التنظيم المؤسساتي التي دعمت الجهود التنظيرية للعلماء وهم يصغون نتائجهم البحثية، وهو ما يفتقده المجتمع العربي، إذ كانت وعلى مر العصور هي منتجات لنشاطات فردية، ولم يتبلور ابداً الجماعات العلمية إذ لم تعرف الحضارة العربية المؤسسات العلمية الكبيرة ولا شكلت في سياقها متَّحدات علماء عملت على برامج بذاتها ولذاتها، بغض النظر عن الاشخاص، فلقد كان المفكر العربي المبدع ينتج الطروحات الجديدة ويضطر الى الدفاع عنها وحده من دون ان تناصره مؤسسة او جمهور لذلك عندما كان يسقط، كان يسقط علمه معه[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص54-55.

(2) المصدر نفسه، ص68-112.

(3) فردريك معتوق، مرتكزات السيطرة شرق وغرب، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2011، ص237-238.

(*) فيلسوف سياسي مقرب من لينين.

ورغم سلبية هذا الواقع، تبقى هناك نقطة مضيئة في مسيرة علم اجتماع المعرفة عربياً، فإذا كانت المؤسسات الغربية في دعمها لمبدعيها ينتج بالضرورة ولاءات بحثية، فهذا بوفارين(*) انطلق في فلسفته العلمية انطلاقاً مما يعتقد انه فكر ماركس اذ كتب يقول ((ان كل علم يجد عملياً أصله في الشروط والحاجات الملازمة للصراع من اجل الحياة...))[1]، وفي اتجاهه هذا كشف ولائه الماركسي، ولا يخفى ان تأكيد مرتن على المؤسسات هو انسجام مع طبيعة التفكير الاجتماعي الرأسمالي الغربي، وفي كلا الاتجاهين نلمس تميزاً ايدلوجياً، للنظام والفلسفة السياسية التي تحكمها، وهنا تتجلى النقطة المضيئة في مسيرة العلم العربي، رغم سلبية افتقار الدعم يبقى العالم العربي مستقلاً في التعبير عن علمه، وبذلك فان الوجه الاجتماعي الذي يعكسه هذا العلم يكون خارج اطار الأدلة، السياسية حتى انتهت بالتقصيد لما عُرِفَ بالأيدلوجيا العلمية على يد ابن خلدون عندما آثر ان يكون بعيداً عن سلطة اي من الزعماء فأختار قلعة بني سلامة ليضمن الحرية في الكتابة ودون قيد او مراقبة[2]، وان كان هذا لا يعني عدم وجود وعاظ السلاطين الذين انخرط علمهم ضمن ما يسمى بالبرنامج الضيف، الذي يقف امام البرنامج القوي ممثلة بالمقدمة كمثال صارخ عليه، وهو ما حاول بلور وزملائه ان يصوغو القواعد والاصول له، مما يضمن الى حدٍ ما تحقيق الموضوعية والحياد العلمي.

ان مبتغى علم اجتماع المعرفة العلمية تحقيق الحياد العلمي، فالانتهاء الى الاقرار بفاعلية الدور الاجتماعي، هو ليس الحكم بان المعرفة العلمية التقنية في مجتمع (س) هي صحيحة لأنَّها تعتمد مثلاً التفسير السببي، وتتخذ من مفهوم التقدم التقني مقياساً للتميز مقارنة بالمعرفة العامية او العلمية التي قوامها السحر والخرافة في مجتمع (ص)، لان الحياد حسب تصور انصار البرنامج القوي هو اعتماد آلية في التفسير ذاتها تستخدم في كلا المجتمعين قوام هذه الآلية السعي لضمان درجة عالية

(1)ميشال دوبوا، مصدر سابق ، ص31.

(2) شفيق ابراهيم صالح,علم اجتماع المعرفة عند ابن خلدون,عمان –دار غيداءللنشر والتوزيع2011، ص9.

من الحيادية في توضيح دور المجتمع في مسيرة العلم دون الحكم على هذه المسيرة باي من الاحكام.

وعند الاطلاع على طبقات الامم نلمس فكرة الحياد في جهده المعرفي، فقد حاول ان يبرز تأثر الواقع الاجتماعي في تشكيل البنية المعرفية، منطلق الحياد العلمي في عقلية الصيني والهندي، التي لا تعرف لصاعد اي اتصال وتماس مباشر بها او تأثره بأي من مذاهبها، فتضيفه مهما تابع من تصورات في الأصل نظرية، فوصف العلم الصيني بالعملي، والفكر الهندي مهتم بعلوم الحكمة[1]، فوافق في هذا التصنيف ما نادى به انصار البرنامج القومي بلور وكولنز من ان التعيين الاجتماعي للمعرفة يتم بمصطلحات الثقافة السائدة[2].

المعرفة بالعيانية التي تتصل بالأَعمال ذات العلاقة بالمنظور الخاص بالتيار الاجتماعي الذي يشرح الظاهرات الاجتماعية بأَعمال الأَفراد، اعمال تحرص على ان تحلل بواعث الفاعلين الذين ينتمون الى هذا السياق الاجتماعي او ذاك، بواعث تدفعهم الى الارتقاء بهذه النظرية او بتلك القضية[3]، ومعلوم ان المعرفة العيانية هي خارج اطار المؤسسة، وبالتالي فان الباحث – العالم، ليس بمقدوره مسايرة آيدلوجية المؤسسة العلمية التي تدعمه إذا كانت تلك المعرفة العيانية قد تتقاطع وآيدلوجيا المؤسسة، لان العالم معني ازاء الحقيقة الاجتماعية دراسة علاقة اساليب التعبير واشكال الافكار بالسياقات الاجتماعية المختلفة[4].

---

(1) القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي (ت462هـ - 1070م، طبقات الأمم، تحقيق د. حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة، دون تاريخ، سلسلة ذخائر العرب 74، ص17 و 21 على التوالي.

(2) ميشال دوبوا، مصدر سابق، ص81.

(3) ريمون بودان، المطول في علم الاجتماع، ج2، ت: وجيه اسعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة – دمشق، 2007، ص269.

(4) عبد الوهاب المسيري، الآيدلوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ع60-61، حزيران 1988، ص329.

اما الموقف الوسط للأندلسي فهو نتاج المؤسسة والابداع الفاعل كفرد عالم. وطبيعي ان مفهوم المؤسسة المرتوني هو غير المؤسسة التي رعت الاندلسي فالاندلسي كانتماء مؤسسي –انتمائه– وظيفي من جهة، واجتماعي من جهة الانتماء الوظيفي فيما احتله من منصب كقاضٍ في طليطلة، وانتمائه الاجتماعي بمكانته لدى الحاكم فضله على غيره من العلماء لعلمهِ الذي اشتهر بهِ ولعله في هذا انتمائه مؤسساتي في السلطة السياسية التي لم تتدخل في عملهِ الوظيفي شأن خلفاء وامراء الدولة الإسلامية الذين اشتهروا بتجنب التدخل في آمور الفقهاء... لكنه على الأقل قد يكون بما امتاز به من

ان الموضوعية –الحياد العلمي– او متن الموضوع (قوة–ضعف– البرنامج القومي) اوجُل الموضوع المدروس، يعكس في واقع الحال توجهين في مسيرة المعرفة الاجتماعية العلمية، يحتل فيها صاعد الاندلسي موقفاً وسطاً منها: التوجه الاول – توجه مرتون – التوجه الثاني – توجه البرنامج القومي.

التوجه الاول – التوجه المرتوني، عكس في جوهره طبيعة ربما التوجه الاجتماعي – الثقافي في الولايات المتحدة والى حدٍ ما طبيعة النظرية الاجتماعية التي سادت فيها منذ ثلاثينات القرن العشرين وحتى مطلع السبعينات إذ الوظيفة البنائية التي اكدت على فكرة التوازن والاستقرار التي لم تخلو من نقد مرتن بالفعل.

تمثلت فكرة التوازن خلو الصراع بين العلماء ضمن نطاق العلم، حين جعل الدعم المؤسساتي هو الحافظ للابداع العلمي على رأي بورديو الذي اعتقد بان مرتون يقوم بتبرير اللامساواة العلمية بما يتم توزيعه من منح وجوائز مالية تتلاءم مع مقدار المعرفة العلمية المنجزة لان المجال العلمي يوزع الحصص على العلماء وفقاً لدرجة استحقاقها[1]، بناءً على مفهوم الحوافز.

التوجه الثاني توجه البرنامج القومي– الذي تجاوز مفهوم المؤسسات وأكد على فاعلية الفاعل في تحقيق وسمع الواقع الاجتماعي بما عرفُ في تراث علم اجتماع استقلالية ربما يشكل ذلك حافزًا في الأنانية والمكانة الاجتماعية والى حدٍ ما الانحراف

(1) احمد موسى بدوي، علم اجتماع المعرفة والتقنية، ويكبيديا، الموسوعة الحرة.

المالي من قبل السلاطين من انخراط في المؤسسة، إلا ان الامتياز الممنوح للقضاة كما اسلفنا، والعلمية التي اشتهر بها، معلقة ممن عملوا بالمعرفة الاجتماعية، فوظيفته كقاضٍ جعلته يتنبه لما يجري حوله من دقائق الامور وبمقابلة شخصيات العصر، كان يناقش ويعلّم ويعلّق على كتبهِ امام تلاميذهِ[1]"

إلا ان طبقات الامم، يكتسب جدواه العلمية باعتباره من الكتب التي اسست لتاريخ اجتماعية العلم، فهو (الكتاب) رغم شهرتهِ بكونه بحث في تاريخ العلوم واساطينه، وعلى راي بعض المؤرخين انه استكمال لدراسة استاذه ابن حزم الظاهري عن دور الاندلس في انتاج العلوم والتعريف بأهم الشخصيات الفكرية التي برزت في مختلف العهود الإسلامية[2]، إلا ان ذلك لم يُغيب الوجه الاجتماعي، فيقول في مدخل كتابهِ ((اعلم ان الناس في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها، وان كانوا نوعاً واحداً فانهم يتميزون بثلاثة اشياء الاخلاق والصور واللغات))[3] إلا ان هذا المعيار كما هو معروف لم يكن مقاس تصنيفه للأمم، لاعتماده العلم، معياراً لتصنيف الأمم.

ولا بد ان نشير الى متغير ذو أهمية عند صاعد –وهو المناخ– الذي عده مسؤولاً عن المعرفة، والنبوغ فيها، جاعلاً من تأثير الشمس عاملاً في ذلك ((فهم أشبه بالبهائم منهم بالناس،...، فافراط بعد الشمس عن مُسَامَية رؤوسهم بَرَّدَ هواءهم وكشف جوهم، فصارت لذلك، أمزجتهم باردة وأخلاطهم فجة، فعظمت ابدانهم، وابيضت ألوانهم وانسدلت شعورهم، فعدموا بهذا دقة الافهام وثقوب الخواطر، وغلب عليهم الجهل والبلادة، وفشا فيهم العمى والغباوة))[4].

---

(1) حياة العبد بو علوان، كتاب طبقات الأمم لصاعد الاندلسي، دراسة وتحقيق ، رسالة ماجستير في التاريخ، شباط 1983، ص45.

(2) محمد ياسر ذكّور، فضل العرب في تاريخ العلم في العالم، كتاب طبقات الامم (أنموذجاً) لصاعد بن احمد الاندلسي.

www.attarikh-alarabi,ma/html.

(3) صاعد الاندلسي، مصدر سابق، ص12.

(4) المصدرنفسه، ص17.

ولا يغيب هذا العنصر من تحليلاته كمقدمة منطقية شاعت في العصور التي سبقت اكتشاف الحضارات، حتى جَعلَ ذلك من فكرهِ الذي اتفق مع ما شاع من تطابق بما عرف فيما بعد بعلم اجتماع المعرفة الذي هو حدوث اتفاق بين فكر العالم وواقعه الاجتماعي، إلا ان هذه الاشارة إذا جعلت منه مسباقاً في طرح تأثير المناخ لمونتكيووسوروكن[1]، إلا انه تباين عنهما وخاصة مونتكيو في جانب شموليته وانسانيته التي جعلته مثالاً للحيادية العلمية، فعرضه لتأثير المناخ لم يكن عرضاً عرفياً إذ ان بيض روسيا وزنوج غانا يتساوون في نظره في عدم النباهة، ولا متطرفاً دينياً مساوياً في النباهة بين الروم والهنود والعرب، على خلاف مونتكيو المنحاز ايدلوجياً لكتلته الجيو– سياسية، مبرراً مذهبه بالعودة الى ما يدعي انه اختبار بغية اضفاء صفة العقلانية على طرحهِ [2].

ان اجتماعية المعرفة المتجلية في طبقات الأمم تتمثل بالأدراك الواعي من قبل مؤلفه بالعلوم التي تناول عرضها بالإيجاز البليغ الذي لا يخلو من المقارنة، والحرص على التتابع التسلسلي لعلماء العلوم فيقدم بذلك عرضاً تطورياً لمسيرة العلوم، يتوجه بان يكون مؤرخاً للعلم من بعض الوجوه، بما يؤهله للسبق العلمي في علم اجتماع المعرفة في عقد سبعينات القرن العشرين بفكرة البرنامج القومي، ففي بيبلوغرافيته العلمية، على رأي باريبارنز، نجد أن طريقته تظهره كعالم.. يعرض رأيه العلمي دون ادخال عنصر الحكم، وينفذ في صلب اجتماع المعرفة العلمية حسب كون حين يكتشف ما هو خاص وفاعل في البحث العلمي بتصنيفهِ العلوم من طبيعية أو آلهية، وأخرى فلكية، وجغرافية كما المواضيع الاخلاقية لعلوم الأمم التي عرضها، وربما كانت مبادئ بلور الافتراضية حول قوة البرنامج القوي في السببية التي تجلت في بحثهِ لعلوم اليونان والعرب والى حدٍ كبير الروم وامة اليهود التي يكشف فيها عن شروط المعتقدات وأطوار المعارف بها، ما يقوده تماماً الى ركيزتي التناظر

(1) فردريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، اكاديميا ، بيروت – لبنان، 1993–1998، ص94–95.

(2) راغب السوجاني، علماء الاندلس في طليطلة،.

Islamstory.com/ar

والانعكاسية، ففي التناظر يستخدم تفسيراته في عرض العلوم عند جميع الأمم بذات الاسباب، غير مُفضلٍ علم أمةٍ على أمةٍ أخرى فعلوم الهند الاخلاقية لا تختلف اطلاقاً في منهجهِ وهو المتغير الثاني المتمثل بالانعكاسية، هو ذات العلوم الصينية التي وصفها بالعملية، فنماذجهِ التفسيرية واحدة في التفسير عند الأمم، التي اهتمت بالعلم، وهي عنده التصنيف الشامل، والسمة الجامعة لهذهِ الامم عن سواها التي لم تهتم بالعلم، فجعلها جميعاً تخضع لمنهج في التفسير والعرض، ولذلك فقد وقف من جميع علوم وعلماء الأمم على مسافة واحدة تمثلت بالحيادية الركيزة الرابعة في البرنامج القومي.

وعند الوقوف على التراث المرتوني (روبرت مرتن) الذي انتهى الى ان التقدير المؤسساتي هو أحد عوامل التحفيز في الابداع، نخلص الى نقطة فارقة في عملية الاندلسي، الذي حقق الانتصار الاجتماعي لعلمهِ دون الانتظام المؤسساتي حين حقق علمه قبولاً على المستوى الاجتماعي إذ عمد اهل الاندلس الى المفاخرة بهِ[1]، وهذه المفاخرة انما تعطينا صورة دقيقة عن مقدار التمثل الذي حققه (صاعد) بين ما قدمه من علم في سفره وبين واقع الاحتياج للمعرفة من قبل المجتمع الذي وضع سفره لهم كقارئين اولاً، ومتفاعلين على هذا الانتاج المعرفي ثانياً بما يتماشى وفكرة بيترمسوردكن[2] حول تماهي النسق الثقافي مع العلم بما يتضمن او ضمن اصطلاح اجتماعية العلم، إذ غدا العلم لغة المجتمع، فهو على علم بقيمته (العلم) المعرفية مدرك معنى البحث والجهد، ولو كانت الصورة على خلاف ذلك مما كان مقدراً للعلم والمعرفة، وفي هذا ولوج لما أسماه (لاو) بالتبلور الباراديغمي بين وعي العلماء من غير الاختصاص، الذي تحدث عنه والذي الى تشكيل الرمز الاجتماعية في بريطانيا[3]، وان كانت بطبيعة الحال هي تختلف عن التأييد الاجتماعي للكتاب من

(1) محمد ياسر زكور، مصدر سابق، نقلاً عن مقدمة طبقات الامم طبعة بيروت عن كتاب الصلة لابن بشكوال، ج2، ص412.

(2) ميشال دوبوا، مصدر سابق، ص48.

(3) المصدر نفسه، ص92-93.

الاندلسيين، الذين ادرك صاعد وعيهم فتكلم بلغة نقول عنها وسطية في العرض كان يعرف مدياتها المعرفية، التي كانت فاعلة بمقدار سمح وفيما بعد من تأسيس مدرسة أنشأها تلامذته اللاحقين، ابن بريال الانصاري، ولتلامذة الاخير، ابي محمد عبد الحسق ابن عطية والقاضي ابن ابي عامر بن شروبه وكان من تلاميذهما ابن بشكوال، والضبي وابن الأبَّار، وهؤلاء جميعهم أخذ عن الطبقات، ذاكرين مصدرهم في معظم الاحيان[1]، مقتربين في هذا الاتجاه من مفهوم الجماعة العلمية التي ارسى جذورها روبرت مرتن و ج. بن دافيد التي حدد كلاهما نقطة انطلاقها في انجلترا القرن السابع عشر وتحديداً دراسة مرتون عن توماس سيرات وهو احد تلاميذ ولكنز المنشور عام 1661 عن (تاريخ الجمعية الملكية في لندن) ((ولاحظ ان فيه تعبيراً عن توافق قوي بين عناصر العقيدة الطهرانية والصفات التي تعتبر ضرورية لممارسة التجربة العلمية))[2]، وبموازنة عمل مرتون هذا بجهود تلاميذ (ابن برييال الانصاري) الذين اعتمدوا مفهوم الطبقات لابن صاعد، فاننا نلمس التأسيس لمفهوم الجماعة العلمية، خاصة إذا علمنا حرص ابن صاعد على المناقشة والتعليق على متون كتبه امام تلاميذه الذين بدورهم نشروها[3] في الشرق والغرب.

الخاتمة

تعد المناهج الوج المكمل للبحث النظري, إلَّا انه هناك خصوصية لها وهي استقلالها عن النظرية . كما ان النظرية في ذات الوقت تمتعت باستقلالية عن المنهج رغم انها الهادي النظري للمنهج . لكن علم اجتماع المعرفة كانت لها خصوصية الامتزاج بين النظرية والمنهج , فهما مترادفان لا ينفصلان عن بعضهما يتمثلان في شخص الباحث، او المثقف؛ لأنَّه في النهاية هو الذي يمنطق ذلك التلاقح بين البعدين النظري والمنهجي كونه ينطلق في التحليل الاجتماعي من الصورة الكلية للمجتمع، ويتعامل مع العلاقات من داخل هذا المجتمع، وينظر الى الأمور بصورة مباشرة وهذا

(1) حياة العبد بو علوان، مصدر سابق، ص63.

(2) ميشال دوبوا، مصدر سابق، ص114-115.

(3) حياة العبد بوعلوان، مصدر سابق، ص45.

الخط العلمي في البحث الاجتماعي هو ما سعى الباحث تصوره وتطبيقه في اثبات المعرفة العلمية الاجتماعية لدى ابن صاعد الأندلسي.

ورغم تعدد ميزات علم اجتماع المعرفة نجد انه كان للحياد العلمي الذي امتاز به حضور ذو فاعلية علمية واجتماعية لان الحياد حسب تصور انصار البرنامج القوي الذي ظهر مطلع السبعينات على يد بلور وبارنز هو اعتماد آلية في التفسير ذاتها تستخدم في التحليل وقوام هذه الآلية السعي لضمان درجة عالية من الحيادية في توضيح دور المجتمع في مسيرة العلم دون الحكم على هذه المسيرة باي من الاحكام.

وعند الاطلاع على طبقات الامم نلمس فكرة الحياد في جهده المعرفي، فقد حاول ان يبرز تأثر الواقع الاجتماعي في تشكيل البنية المعرفية، وهو ما تجلى في بحثه لعقلية المجتمعين الصيني والهندي، التي لا يعرف لصاعد اي اتصال وتماس مباشر بهما , وهو ما انتهينا الى استجلائه ضمن محاور البحث من منهجية الى تصنيف ثم بحث لمصادر المفيدة لكتابه طبقات الأمم.

References

1. Abd al-Rahman Badawi, **Immanuel Kant**, Publications Agency, Kuwait, 1st Edition, 1977.
2. Abd al-Wahhab al-Masiri, **The Zionist Ideology**, Kuwaiti World of Knowledge Series, p. 60-61, June 1988, pg. 329.
3. Abdul Qadir Orabi, **Qualitative Approaches in Social Sciences**, Damascus, Dar Al-Fikr, 2007, 1st edition.
4. Ahmed Musa Badawi, **Sociology of Knowledge and Technology**, Wikipedia, the free encyclopedia.
5. Ali Al-Wardi, **Paranormal Subconscious**, Dar Al-Hawraa for Printing and Publishing, (Baghdad, 2004).
6. Ansaf Muhammad, **Knowledge and Experience, A Study in David Hume's Epistemology**, Ministry of Culture, (Damascus 2006).
7. Brier and Raymond Boudon, **Al-Mutawal in Sociology**, Part 2, translated by: Wajih Asaad, Ministry of Culture - Syrian General Organization for Books, Damascus, 2007.

8. Edgar Moran, **The Curriculum**, Part 4, Translated by Dr. Jamal Shahbad, The Arab Organization for Translation and Distribution, Center for Arab Unity Studies, 1st edition, (Beirut, 2012).
9. Frederick Maatouk, **Dictionary of Social Sciences**, Academic, Beirut - Lebanon, 1993-1998.
10. Frederick Maatouk, **Pillars of Control East and West**, Knowledge Forum, 1st edition, Beirut, 2011.
11. Frederick Maatouk, **The Development of the Sociology of Knowledge through Nine Books**, Dar Al-Talee'a, Beirut, 1st Edition, 1982 A.
12. George Gurvich, **Social Frameworks of Knowledge**, translated by: Khalil Ahmad Khalil, University Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2nd edition, 1988.
13. Islamstory.com/ar
14. Judge Abi al-Qasim Sa`id bin Ahmad bin Sa`id al-Andalusi (d. 462 AH - 1070 AD), **Tabaqat Al-Umam**, investigation by Dr. Hussein Moanis, Dar al-Ma'arif - Cairo, without date, the Arab Relics Series.
15. Juliet Garmady, **Social Linguistics**, Dr. Khalil Ahmad Khalil's Arab, Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, Beirut, 1st Edition, 1990.
16. Mahmoud Fahmy, **Ilm Al-Lugha Al-Arabia**, and the length of publications, Kuwait, 1973.
17. Michel Dubois, **Introduction to the Sociology of Science**, translated by: Dr. Saud Al-Mawla, Publications of the Arab Organization for Translation, distributed by the Center for Arab Unity Studies, 1st edition, Beirut, April 2008.
18. Muhammad Yasser Dhakour, **The Priority of the Arabs in the History of Science in the World, Kitab Tabaqat Al-Umam (a Model)** by Saed bin Ahmed Al-Andalusi.
19. Peter Berger and Thomas Luckman, **The Social Structure of Reality - A Study in the Sociology of Knowledge**, Translated by: Dr. Abu Bakr Ahmed Baqader, Al-Ahlia for Publishing and Distribution, 1st edition, 2000, Amman - Jordan.
20. Raghib al-Sujani, **Andalusian Scholars in Toledo**.

21. Raja' Mahmoud Abu Allam**, Research Methods in Psychological and Educational Sciences**, Publishing House for Universities, Cairo, 4th edition, 2004.
22. Samah Rafi Muhammad, **Husserl's Phenomenology**, General Cultural Affairs House, (Baghdad, 1991).
23. Shafiq Ibrahim Salih, **Sociology of Knowledge according to Ibn Khalduon**, Amman - Dar Ghaida for Publishing and Distribution 2011.
24. **Sociology of knowledge**, sites of Arab philosophers, the Internet.
25. The life of al-Abd Bu Alwan, **Kitab Tabaqat Al0Umam by Sa`id al-Andalusi**, study and investigation, master's thesis in history, February 1983.
26. Thomas Kuhn, **The Structure of Scientific Revolutions**, T: D. Haidar Haj Ismail, The Arab Organization for Translation, Center for Arab Unity Studies, 1st edition, Beirut, 2007.
27. www.attarikh-alarabi,ma/html .

Theory and Method of Sociology of Epistemology and the Scientific Socio-Epstomology

Shafeeq Ibrahim Saleh Al-Jubouri ∗

Abstract

It could be said that sociology passed many scientific stages implying the social aspects, for instance, it was ideological, by the aggravation of the cold war occurred between the west and socialist camps, to conciliatory direction with the beginning of the closeness between them at the early seventies. The social signs could be represented by the sociology of epistemology which has a third feature of being a research method.

We can find the idea of sociology became clear in the sociology of the scientific epistemology so, taking care of

∗ **Prof/Department of Sociology/College of Arts/Mosul University.**

science appeared throughout the institutional support as has been shown by Robert Mirton in his research and this what the research tried to deal with beside a practical study on social scientific epistemology of Ibn Saed Al-Andalusi in his book taloagat Al-Omem (classes of nations.(

Keywords: knowledge, ideas, method.